

أول ما يعرض لنا من قضايا أدبنا المعاصر ، هو تحرير المفهوم الشائع للمعنى المعاصرة في مجالها الزمني ، إذ يحسب كثير منا أنها تعنى في الأدب ، أن يُشغل بحاضرنا وحده دون التفات إلى ماضيه القريب أو البعيد .

وعند هؤلاء أن الأديب لا يمكن أن ينتمى إلى العصر ويعيش بوجدانه إلا إذا كَفَّ تماماً عن الالتفات إلى الأمس ، وتخلص من تأثير تراثه ، وحصر اهتمامه كله في الحاضر والمستقبل .

وحياة الأديب المعاصر بوجدان زمنه ، ليست موضع جدال أو مناقشة ، ولا يجوز في رأي أن تكون مثار خصومة أو خلاف . لكن هذا الوجدان العصري مشحون بميراث ماضيه بحيث لا يمكن عزله عنه أو بتره منه . وقانون الوراثة يحتكم هنا في حياة الأديب كما يحتكم في حياة كل كائن حي ، مادياً كان أو معنوياً .

وليس في الإمكان أن نتصور الأدب المعاصر نبتاً شيطانياً بلا جذور ضاربة في أعماق الزمن ، إلا إذا تصورنا أن إنسان العصر لا يمت بأدنى صلة إلى الإنسان القفري الأول ، في عصور ما قبل التاريخ .

وعلماء الحضارة المحدثون ، يشغلون باكتشاف آثار خطوات البشرية على درب الوجود ، دون أن يقال إنهم انفصلوا عن عصرنا .

وقد وقف « داروين » على قمة عصره ، وهو يوغل في الماضي السحيق متتبعاً نشوء الأنواع ، وماتمساً الظواهر البيولوجية لما قبل عصر الإنسان، كى يقدم نظريته في التطور ، في كتابه ( أصل الأنواع ) الذى نشره سنة ١٨٥٩ بعد عشرين عاماً من الدراسة والتأمل ، ولم يقل أحد إنه رجعى يعيش مع بقايا الحفريات البائدة ، بل الذى قاله مؤرخوه إنه يمثل ذروة التقدم العلمى لعصره الذى دخل تاريخ العلم باسم « عصر النشوء والارتقاء » .

و « ماركس » الذى فتن جيله وأجيالاً بعده بنظريته في التفسير المادى للتاريخ ، لم يصل إليها إلا بعد طول تأمل في ماضى سير الزمان بالشعوب والجماعات ، والنظر الثاقب في الدور الذى لعبه العامل الاقتصادى على مسرح التاريخ .